

في أول مقاله ؛ فهو يقول للدكتور البهي : لا تحدثنا عن إنتاج
جامعة كبار العلماء ، ولا عن قيمة هذا الإنتاج في نظر العلم ،
ولكن حدثنا عن إنتاج هذه البحوث الأزهرية التي أنت واحد
من أعضائها ، والتي وضع الأزهر فيها آماله ، وظل يرقبها في لهف
وشوق ، ممللاً نفسه بمهد جديد يمتاز بالحرية في الرأي ،
والاستقلال في التفكير : أين هو هذا الإنتاج ؟ وأين طابع هذه
البحوث الخاص الذي تميز به عن أشياخها ؟ وأين التجديد الذي
أفاده الأزهر من بعثة الإمام محمد عبده أو بعثة فؤاد الأول ؟

هكذا يتساءل الأستاذ ، ثم يصرح بأنه لم ير دليلاً يدل
على أن هذه البعثات قد جدت ، أو سارت على نهج غير النهج
الذي سار عليه الأشياخ من قبل « فلا هي قد أقامت في الأزهر
مدرسة للتجديد خاصة ، ولا نهجت فيه منهجاً دراسياً ولا تأليفياً
خاصاً ، ولا مات حولها مسمكراً جديداً يرفع معها وبعدها شملة
النور في الأزهر ... الخ »

ثم يحاول الأستاذ تطليل ذلك ، فيجد نفسه « أمام واحد
من فرضين : إما أن تكون هذه البحوث لم تقدم شيئاً مما درست
في جامعات أوروبا ، ولم ترتفع بتفكيرها عن أشياخها وعن زملاء
أعضائها الذين لم يعمثوا ولم يدرسوا ... وإما أن تكون هذه
البحوث العلمية قد أفادت من دراستها الأوربية عقلية جديدة حرة
وتفكيراً جديداً حراً ... الخ »

منازراً بها فيما أن تتغلى حيثه فينتم بما ربح ، وإما أن تنفضح
فيشقى بما فقد

وبعد ، فقد تعودت كل طائفة من الناس النظر في شئونها
عند نهاية السنة المقررة لها . فالزارح يجيل رأيه فيما زرع وحصد ،
والتاجر يوازي بين ما اشترى وما باع ، والحكومة توازن بين
ما جمعت وما أنفقت ؛ وهكذا فإن من فضائل الموقف بين طامعين
أنه يثير في النفس شتى الأفكار والتأملات

وقد تنازعت نفسى هذه الأفكار وأنا أسنى إلى صراخ الإنسانية
وأينها ، وإلى دوى اللدافع وترجيح صداها ، وإلى خصومات
الأمم ودعواتهم ، وإلى صرير أقلام الكتاب ودوى آلات
الإذاعة والطباعة ؛ فرأيت أن أدون ما جال بخاطري ، ولعل
أصبت المرى ولم أخطئ السبيل .
صعديري شيبوب

السياسة التوجيهية في الأزهر

للأستاذ محمد محمد المدني

في العدد (٢٩١) من « الرسالة » مقال كتبه الأستاذ
محمد الشرفاوى ، بمناسبة مقال في العدد الذى قبله للدكتور
محمد البهي عن « شخصية الأزهر العلمية »

والأستاذ الشرفاوى يصف مقال الدكتور البهي بأنه مقال
جيد ، وفيه صدق كثير ، وقد أثار في نفسه طائفة من الخواطر
يعتقد أن فيها - هي أيضاً - صدقاً كثيراً وفيها صراحة
ومع أن الأستاذ يبدو معارضاً لفكرة الدكتور ، بل مهاجماً له
فإن من يتأمل نيا قاله يجده قد وافقه في كل ما قاله ، ثم نقل
البحث إلى شيء آخر

ولست فيما أكتب اليوم بالدافع عن أعضاء البحوث الأزهرية
إلى أوروبا ، فذلك شأن يخصهم ، وهم أولى بأن يردوا على أسئلة
الأستاذ التي وجهها إليهم ؛ ولست كذلك مهاجماً لأحد من الناس
أو لطائفة من الطوائف ، ولكنى أريد أن أقول إن الأستاذ
الشرفاوى لم يكن صريحاً على الرغم مما ادعاه لنفسه من الصراحة

كانت طموحة ، لأن الطموح يتطلب قوة وتضحية ، وهو
في مجموعه دليل على كبرياء النفس ، والكبرياء فضيلة إذا كانت
سلاحاً من أسلحة النضال

إن مظاهر الكذب التي ألمنا بها تجعلنا نستنتج أن كل
الناس يتلون دور النعمة على مسرح الزمان ، وأنهم في اطمنانهم
إلى ما يلبيونه يصبح الدور التي يتلونهم أقرب إلى حقيقتهم
من الأصل . لقد أصاب شكبير كبد الحقيقة عند ما تلهى
بهؤلاء الأشباح وجعلهم يتلون دور الجانين حتى صاروا في
حقيقتهم مجانين

إن الأشياء والبشر كافة يتباطون في هذا القمار العظيم
الذى ندعوه الحياة .

القلب يتباطى للقل ، والغفل يتباطى للقلب ...
يواد الطفل ممسكاً بيديه أوراق لعب كبيرة ثم يرميها في الحياة

يمتاز في نفسه ، ولا لأنه ناجح في عمله ، ولا لأنه لا يوجد في أقرانه من هو خير منه ، ولكن لاعتبار آخر ، كأن يكون صديقاً مثلاً ، أو أن يكون قد تطلع في يوم ما إلى منصب ما فلم ينله ، فننظر إلى الرأي أن يترضى ، ومن الرأي أن يموض !

وقد يحيط بالمصلح الشريف المخلص أحوال شرفاء مخلصون لا يفهمهم إلا الإخلاص للفكرة الإصلاحية ، ولكنه مع ذلك ربما أهمل آراءهم ، لا لأنه بحثها فتيين وجه الخطأ فيها ، ولا لأنه اقتنع بأن غيرها أولى بالقبول منها ، ولا لأن أحماسها مشكوك في إخلاصهم أو في حسن تقديرهم ، ولكن لاعتبار آخر لا ينبغي أن ينظر إليه ، ولا أن يضرب جانبه ، كالميل إلى تمثيل عنصر معين في ناحية من النواحي

وقد يخضع المصلح لاعتبارات أخرى غير هذه وتلك ، يدفعه إليها على الرغم منه قانون تقليدي ، أو عرف قائم ، فتراه مثلاً لا يسند أعمالاً خاصة إلا إلى طائفة خاصة ، لا لأن هذه الطائفة أجدر من غيرها بتولي هذه الأعمال ، ولا لأنها أقدر من غيرها على السير بها في طريق النجاح ، ولكن لاعتبار آخر قد لا يكون له صلة بهذا الموضوع أصلاً ، كاعتبار شرط التوغل في العمل مثلاً في حق الأعضاء الذين ينتخبون لمضوية جماعة ما ، أو يرشحون لتولي منصب ما وهكذا

نعرف هذا كله ، ونعرف أنه شر ما تصاب به بيئة من البيئات ، وأنه داء خطير يصيب الإنتاج العام بالشلل ، ويؤدي إلى الخمود والركود ، ثم إلى الانحلال والموت !

ونعرف أيضاً أن العامل الذي يجد أن المقاييس التي من حوله ليس أسامها للتفكير والعمل والهدأ والإنتاج ، وإنما أسامها شيء آخر غريب عن هذا كله ، وبميد من هذا كله ، هذا العامل لا يلبث أن يقتر ، وأن يضغف ، لأن القدرة على الإنتاج وحدها غير كافية ، ولكن ينبغي أن يصاحبها التشجيع والإشراء

فهل يريد الأستاذ الشرفاوي شيئاً من ذلك ويعنمه شيء ما أن يقوله ، وأن يكون صريحاً فيه ؟

ألا إنه لو حلل ما يقول به من عقم البحوث العلمية بالسياسة التوجيهية لما كان منصفاً ، ولما قال صواباً ، فإن على رأس الأمر شيئاً مما تمتاز في تفكيره ، تمتاز في شخصيته ، سيد النظر فيما يقدم

ردد الأستاذ بين هذين الأمرين ، ولكنه نفي الأول منهما مستلماً بأن أعضاء هذه البحوث جميعاً مبرزون في دراساتهم الجامعية ، وفي درجاتهم العلمية التي نالوها ، وفي البحوث التي فازت بالتقدير ، فهو إذاً يستبعد للفرض الأول ويستبقى للفرض الثاني ، وهنا ينتهي عهد مع الصراحة ، فيفر من مواجهة الحقيقة التي يراها ، ويسود إلى التردد فيقول : هل يتوجه اليوم في عدم إنتاج هذه البيئات إليهم أم أين يتوجه ؟

كأنى بالأستاذ الشرفاوي يريد أن يكون صريحاً في نفس الموضوع كما كان صريحاً فيما وجهه إلى الدكتور البهي ، فهو يهم بأن يطلق لنفسه الدنان ثم يسود فيؤثر الأيهام ، وكأنه به متفقاً مع صاحبه في كل ما ذكره غير مخالف له في شيء منه ، ولكنه يؤثر أن يظهر في ثوب المراض له

ولا علينا من ذلك ، ولكننا نسال الأستاذ الشرفاوي : ما هي الناحية الثانية التي يحتمل أن يتوجه إليها اليوم ؟ ما هو هذا الشيء الذي يحتمل أن يكون قد صرف أعضاء البحوث عن الإنتاج مع قدرتهم عليه ؟ أنقصده به أن البيئة الأزهرية غير صالحة لتلقي الفكر الجديدة ، وتقبل الإنتاج الحر المبني على التفكير المستقل لأنها ما زالت تمد للتجديد خروجاً على ما ينبغي من تقديس للتقديم والفتاء فيه ، والدوران من حوله ؟ أم تقصد أن التجديد والإنتاج الملمى مرتبطان بالسياسة التوجيهية ، فكلا كانت هذه السياسة ماضية في طريقها للتويم ، حريصة على تشجيع العاملين ، وإدارة الجهود ، والانتفاع بالموهب ، نما الإنتاج ، وكثير للتعبون ، وتشجيع العاملين . وكلا انحرفت هذه السياسة عن طريقها للقوم وأدخلت في تقدير الأعمال اعتبارات غريبة عنها ، فترت المهم ، وكلت الدزائم ، وضغف للتفكير ، وقل الإنتاج ؟

نحن نعرف أن كثيراً من الاعتبارات قد يعوق سير الإصلاح ، ويعرف الساسة الموجهين عن الطريق ، ويلوهم من حيث يريدون أو لا يريدون عمارة سموم من الإصلاح وأخذوا به أنفسهم من التوجيه

فقد يكون في بيئة من البيئات رجل حر الضمير ، مستقيم الفكرة ، له في الإصلاح برنامج شريف ، وله فكرة محمودة على هذا البرنامج ، ولكنه مع ذلك لا يرى بأساً من أن يجامل شخصاً ما فيسند إليه عملاً تمتاز من الأعمال الإصلاحية ، لا لأنه